

جوانب من الفكر التربوي الإسلامي

في خطب الإمام علي بن أبي طالب (ع) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

كلية التربية الأساسية/جامعة ديالى

أ.د. قحطان حميد كاظم العنبيكي

موبايل: ٠٧٧٢١٧٢٨٨٥٦

البريد الإلكتروني: drqahatanhamed@gmail.com

ملخص البحث

تُعدّ شخصية الإمام علي (ع) من أهم الشخصيات الإسلامية بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) لما له من مكانة اجتماعية، وعلمية وسياسية، فهو أقرب الناس إلى رسول الله محمد (ص)، وزوج الزهراء البتول، وأبو السبطين، وأول القوم إسلاماً، وأعلامهم همة، وأكثرهم علماً ومعرفة.

كان الإمام علي (ع) موجهاً ومعلماً في كثير من خطبه ووصاياه وأقواله وأفعاله، إلى تهذيب النفوس، وبناء الشخصية السوية عن طريق التربية الصالحة التي أمر بها الله تعالى، وبما يؤدي إلى التغيير والتطور المجتمعي من خلال موافقة العلم بالعمل.

يهدف البحث لتسليط الضوء على جوانب من الفكر التربوي للإمام علي بن أبي طالب (ع)، عن طريق بعض خطبه وتوجيهاته في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، واستنتاج بعض القيم والأفكار التربوية منها.

استعمل الباحث المنهج الوصفي التاريخي التحليلي، ولتحقيق هدف البحث قسمه الباحث إلى مقدمة وأربعة مباحث فضلاً عن استنتاجات لخصت أهم الأفكار والتطبيقات التربوية في خطب الإمام علي (ع) في كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. تناول المبحث الأول مفهوم التربية والفكر التربوي الإسلامي لغة واصطلاحاً، ودرس المبحث الثاني ملامح الفكر التربوي الإسلامي ومصادره وسماته، وتطرق المبحث الثالث إلى لمحات من سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع) وكتاب نهج البلاغة، وبين المبحث الرابع أهمية التربية والتعليم وأبعادها الاجتماعية في ضوء خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة.

اعتمد الباحث على جملة من المصادر والمراجع العربية يأتي في طليعتها كتاب الله (القرآن

الكريم)، وكتاب (نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد المعتزلي).

المقدمة

إنّ التربيّة هي إحدى المجالات التطبيقية المهمة في بلورة ثقافة الأمة وهويتها، والتربيّة أساس بناء شخصية الإنسان وتكوين ثقافة المجتمع العامة. وقد راجت الأفكار التربويّة الغربية وانتهاجها، في مؤسساتنا التربويّة، بعد أن أصبحت المكتبات في مجتمعاتنا الإسلاميّة، مليئة بالمؤلفات التربويّة، المقتبسة من الفكر التربوي الغربي، على الرغم من عدم ملائمتها أغلبها لمجتمعنا، وعاداته، وتقاليده وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ومن الأهمية بمكان، العودة إلى تراث الأمة الإسلاميّة، وهذا ما حمل الباحث على الكتابة عن الفكر الإسلامي عن طريق دراسة الآثار العلميّة لعلم من أعلام الأمة الإسلاميّة الفكريّة، الإمام علي بن أبي طالب(ع)، والاستفادة من أفكاره وممارساته التربويّة؛ لمواجهة المشكلات الفكريّة والتربويّة المعاصرة، وبما يتفق مع القيم التربويّة الإسلاميّة وحاجات مجتمعاتنا الآنية.

تكمن أهمية البحث في إنه يبحث في التراث الإسلامي الذي أضاع حياة الإنسان، ولاسيما في مجالات التربيّة؛ لأنها عملية أساسية في تقدم الشعوب ونهضة الأمم ودفع المجتمع إلى الاستمرار في اتجاه الارتقاء والتطور. إن كتاب نهج البلاغة من أكثر الكتب التي أكدت وتحدثت عن التربيّة كونه يسלט الضوء على مفهوم التربيّة في الفكر الإسلامي ولاسيما جانب التربيّة عند الامام علي(ع) الذي وإن دُرس فهو يحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة، فضلاً عن الرد على القائلين بأن أثر المسلمين ينحصر في النقل عن الشعوب الغربية، ومواجهة التحديات التربويّة التي أخذت تتغلغل في المجتمع الإسلامي.

أما حدود البحث فقد جرى اعتماد مجموعة من الخطب للإمام علي(ع) في كتاب شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي، وبيان الجوانب التربويّة فيها، ولاسيما بعض الخطب التي لها صلة مباشرة بالتربيّة.

استعمل الباحث المنهج الوصفي التاريخي التحليلي كونه المنهج الملائم لتحليل فكر الإمام علي(ع) وآرائه التربويّة. وزعت مادة البحث على مقدمة وأربعة مباحث واستنتاجات، تناول المبحث الأول مفهوم التربيّة والفكر التربوي الإسلامي لغة واصطلاحاً، ودرس المبحث الثاني ملامح الفكر التربوي الإسلامي ومصادره وسماته، وتطرق المبحث الثالث إلى لمحات من سيرة الإمام علي بن أبي طالب(ع) وكتاب نهج البلاغة، وبيّن المبحث الرابع أهمية التربيّة والتعليم وأبعادها الاجتماعية في ضوء خطب الإمام علي(ع) في نهج البلاغة.

اعتمد الباحث على جملة من المصادر والمراجع العربيّة يأتي في طليعتها كتاب الله(القرآن الكريم)، وكتاب (شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي)، فضلاً عن مصادر ومراجع عديدة بينت تفاصيلها في هوامش البحث ومصادره.

المبحث الأول

مفهوم التربية والفكر التربوي الإسلامي لغة واصطلاحاً

التربية في اللغة مأخوذة من ربى ولده ، والصبي يربه ، رباه أي أحسن القيام عليه حتى أدرك^(١). والتربية بمدلولها اللغوي أيضاً، تعني تعهد الطفل بالرعاية والتغذية المادية والمعنوية حتى يشب، وقد اهتم الفلاسفة والعلماء القدماء والمحدثين بهذا المفهوم، وأوجدوا له عدداً من التفسيرات التي إن اختلفت في شكلها، فهي متفقة في جوهرها، ومن أقوال بعض المفكرين القدامى أشار أفلاطون(٤٢٧-٣٤٧ق.م) إلى الناحية الكمية من التربية، وذلك بمزاولة جميع الأنشطة العقلية والبدنية المؤدية لكمال الفرد: ((التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال، وكل ما يمكن من الكمال))^(٢). وأكد أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م) على الناحية المهنية من التربية لما فيه منفعة الفرد وسعادته في دنياه: ((الغرض من التربية هو أن يستطيع الفرد عمل كل ما هو مفيد وضروري في الحرب والسلام، وأن يقوم بما هو نبيل وخير من الأعمال ليصل إلى حالة السعادة))^(٣). وركز الفيلسوف الفرنسي جولز سيمون(١٨١٤-١٨٩٦م) على النواحي الروحية من التربية: ((التربية هي الطريقة التي بها يكون العقل عقلاً حراً، ويكون القلب قلباً حرّاً))^(٤). ولعل أوثق تعريفين للتربية هما: ما قاله الغزالي(٤٥٠-٥٠٥هـ): (ومعنى التربية ، يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ، ليحسن نباته ويكمل ريعه))^(٥). وما قاله جون ديوي: ((إنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ثم صب لها في قوالب معينة . أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة))^(٦).

أما تعريف الفكر فيعرف لغةً: فَكَّرَ، في الأمر - فكراً أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل إلى مجهول، و(التفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها: والفكرُ إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول ويقال لي في الأمر فكر : نظرٌ وروية^(٧). وأما الفكر

(١). باقر شريف القرشي ، النظام التربوي في الإسلام دراسة مقارنة ، دار المعارف للطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م ص ٤١ ؛ محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر، ج١، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٦١.

(٢). كامل سليمان وعلي العبدالله ، التربية ، مطبعة صادر، بيروت ، ١٩٦٥م ، ص ١٧٦-١٧٧.

(٣). المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٤). المصدر نفسه ؛ منتدى الكفيل على الموقع الإلكتروني : <https://forums.alkafeel.net>

(٥). أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، رسالة أبيها الوالد، ترجمة توفيق الصباغ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ١٩٥١م، ص ٣٧.

(٦). جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة متى عقراوي وزكريا ميخائيل ، ج١، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ١٢.

(٧). المعجم الوسيط ، ط٤ ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٦٩٨.

اصطلاحًا فقد عرفه العلواني بأنه : ((..عملية عقلية يصل من خلالها الإنسان إلى معرفة ما يريد ، ثم ذكر آليتها فشملت كل الملكات العقلية والنفسية ثم رسم خط سير هذه القوى كآليات للفكر وذكر في النهاية الهدف كنتاج لإعمال الفكر))^(٨). ويعرف الباحث علي الفتلاوي الفكر نظريًا بأنه: ((جميع النشاطات التي يتوصل إليها العقل البشري وتكون لها صفات معينة وأهداف محددة تعتمد على المثيرات البيئية الكفيلة بإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات))^(٩). ومن الناحية الإجرائية عرفه الباحث علي الفتلاوي بأنه: ((محاولة قراءة الأمور التربوية التي وردت في بعض خطب الإمام علي عليه السلام))^(١٠).

أما الفكر التربوي فيعرفه حسن جميل طه بأنه: ((جملة من المبادئ الفكرية والمنطلقات الأساسية التي تحكم العمل التربوي وتحدد طبيعته ومساراته في البيئات الاجتماعية، ويعبر عن هذه المبادئ والمنطلقات عن طريق تحديد المفاهيم الأساسية للتنشئة والتربية والتعليم والتدريب والتثقيف والتوعية، وهي العناصر الرئيسة للتربية الشمولية في أي مجتمع بمختلف مستوياته))^(١١). ويرى الباحث خالد العمري بأنه: ((هو فلسفة قبل أن يكون أي شيء آخر، ويتكون من افتراضية أساسية تلقي الضوء على أنشطة الإنسان العقلية وطبيعته النظرية والبيئية، تتمخض عنها اطر للأطروحات التربوية والمنطلقات التعليمية))^(١٢). ويعرفه الباحث علي الفتلاوي نظريًا بأنه: ((الآراء والنظريات المتعلقة بالتربية التي تطرحها العقول النيرة وتهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع بناء سليمًا خاليًا من الشوائب ويحقق المصالح))^(١٣). ويعرفه الباحث نفسه إجرائيًا انه: ((جميع الأفكار التي حملت بين طياتها لمحات تربوية في فكر الإمام علي(ع) التي نلمسها في بعض خطب نهج البلاغة والتي تعمل على بناء الإنسان من جوانبه المختلفة))^(١٤).

وما يهمنا في هذا البحث ذكر ما صدر عن الإمام علي(ع) ، من أفكار تربوية تفسر حقيقة مفهوم التربية ؛ إذ يرى الإمام علي(ع) أن الإنسان هو غاية الوجود، ومن أجله خلق الله

(٨). طه جابر العلواني ، الفكر التربوي الإسلامي ، مج ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٢٧.

(٩). علي تركي شاعر الفتلاوي ، خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة - قراءة في الفكر التربوي ، مجلة العلوم الإنسانية/ جامعة بابل، المجلد (٢٣)، العدد(٤)، ٢٠١٥م ، ص ١٨٢٥.

(١٠). المصدر نفسه .

(١١). حسن جميل طه ، الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية ، ط١، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٧م، ص ١٩.

(١٢). خالد العمري، الفلسفة التربوية لمديري المدارس الحكومية في الأردن، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، مج ٨ ، العدد (٢)، ١٩٩٢م ، ص ٨١ .

(١٣). علي تركي شاعر الفتلاوي ، المصدر السابق ، ص ١٨٢٦.

(١٤). المصدر نفسه .

ما خلق ؛ إذ بعد أن خلق تعالى الكون ورتبه أحسن ترتيب، ونظمه أجمل تنظيم ، وأتم مرافقه ، على أكمل وجه ..، أخرج إليه الإنسان، وأسكنه فيه على أن يكون خليفته في أرضه..، ويمضي في أقواله وأفعاله ونواياه، ومقاصده، وفق أحكام الله وإرادته مطيعاً ، مدعناً، شاكراً ، إلا أنه خالف أمر الله ، وسلك بوحى من نفسه الأمانة بالسوء ، فجذبتة الدنيا إليها وحجبت عنه الرؤية السليمة فبات أسير أوهامه وشهواته^(١٥).

وتوجب على الإنسان أخذه بالتربية والتعليم حتى تستقيم نفسه ويقوى على مقاومة الضلالة والفساد. وأن هذه التربية، لا تستند فقط إلى مبادئ نظرية لا صلة بها بالواقع، بل تتخذ منها طريقاً ومنهجاً يعضده العلم والعمل والإيمان بهدف منفعة العباد وخيرهم^(١٦). وكثيرة هي الخطب والكلمات التي تضمنها كتاب (نهج البلاغة) وهي تدعو إلى طلب العلم وأخذه من أي مصدر كان، كما وتحت على العمل حتى لا تبقى التربية مجرد نظريات لا فائدة منها في عالم الواقع ؛ لذلك فإن الإمام علي(ع) يدعم القول بالعمل وهذا هو الحق الذي يشهد به العمران والتقدم والتطور الحاصل في المجتمعات من ذلك: ((العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل.. إذ لا خير في علم بلا عمل. ولا بد للعارف من أن يكون عاملاً حتى لا يكون علمه حجة عليه))^(١٧). ولقد أدرك الإمام علي (ع) هذا الأمر وطبقه على سائر مجريات حياته، ويبدو ذلك في حديثه عن العلماء الذين يتعلمون ، برأيه لغايات ثلاث: ((للمراء والجدل ، للاستطاعة والحيل ، للفقه والعمل))^(١٨). أما الأول ((فإنك تراه ممارياً للرجال في أندية المقال ، قد تسربل بالتخشع وتخلى من الورع. فدق الله من هذا حيزومه وقطع منه خيشومه)). وأما الثاني ((فإنه يستطيل على أشباهه من أشكاله، ويتواضع للأغنياء، من دونهم، فهو لحوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله من هذا بصره، ومحى من العلماء أثره))^(١٩). وأما الثالث ((فتراه ذا كآبة وحزن، قام الليل في حنسه ، وانحنى في برنسه ، ويعمل ويخشى ، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه))^(٢٠).

^(١٥). ينظر: منتدى الكفيل على الموقع الإلكتروني: <https://forums.alkafeel.net>

^(١٦). المصدر نفسه .

^(١٧). عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار الجيل ، ج ١٩ ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٢٨٤. وسوف اشير اليه بإبن أبي الحديد .

^(١٨). السيد حسن الميرجهاني الطباطبائي، مستدرك نهج البلاغة الموسوم بـ مصباح البلاغة في مشكوة الصياغة، نسخة الكترونية pdf، مكتبة الزهراء، ج ١، ١٣٨٨ هـ ، دم ، ص ٣٢٤-٣٢٥.

^(١٩). المصدر نفسه .

^(٢٠). ينظر : منتدى الكفيل على الموقع الإلكتروني: <https://forums.alkafeel.net>

فليس المهم بنظر الإمام علي(ع) كثرة العلوم النظرية، لأنها لا تغني عن السلوك الحسن والسيرة الخيرة، فالترقية التي تعتمد الكمية في أساليبها ليست مقبولة ما دامت لا تستند إلى الكيفية والنوعية^(٢١). إلا أن هذه النوعية لا فائدة منها إذا لم تقترن بالفاعلية فالعلم لا يراد لذاته، بل لأجل التغيير والنمو في شخصية الفرد والمجتمع كما يقول عليه السلام: ((لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فأقدموا))^(٢٢). إلا أن العمل قد يجر الويل على المجتمع، إذا لم يستند إلى أساس روعي خلقي وما نراه اليوم دليلاً على ذلك، فالذرة قد تستعمل للبناء وقد تستعمل للفناء والدمار والذي ينحى بها هذا المنحى أو ذاك، هو الإنسان ذاته الذي اكتشفها؛ لذلك كانت التربية الروحية الخلقية لا بد منها في صياغة كيان الفرد وتفكيره وخلقها، وقد جمع الإسلام بين التربية الدينية والدنيوية بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢٣). هذه النظرية للتربية التي امتاز بها الإمام علي(ع) هي أكثر شمولاً وعمقاً من تلك التي أوحى بها التعريفات السالفة الذكر، إذ يتوسع الإمام علي(ع) في النشاط التربوي ليشمل جميع نواحيه الفكرية، والاجتماعية، والأخلاقية، والدنيوية والدنيوية^(٢٤).

المبحث الثاني

ملامح الفكر التربوي الإسلامي ومصادره وسماته

أولاً: ملامح الفكر التربوي الإسلامي

من أهم الملامح التي تميز الفكر التربوي الإسلامي هي:

١. اهتمام التربية الإسلامية بالفرد ذكراً كان أم أنثى، ولم يفرق الإسلام بينهما إلا بما يتناسب مع كل منهما^(٢٥)، وأن الإنسان خلق من أجل هدف يتمثل في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢٦).

٢. اهتمام التربية الإسلامية بالجانب العملي التطبيقي إذ حذر القرآن الكريم الذين يقولون ولا يفعلون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا

^(٢١) .ينظر : منتدى الكفيل على الموقع الإلكتروني: <https://forums.alkafeel.net>

^(٢٢) .ينظر : ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٩، ص ١٦٤.

^(٢٣) .من الآية (٧٧) من سورة القصص.

^(٢٤) .ينظر : منتدى الكفيل على الموقع الإلكتروني: <https://forums.alkafeel.net>

^(٢٥) .علي تركي شاعر الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨٣٠-١٨٣١.

^(٢٦) .الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٧﴾، وقال الإمام علي (ع) ((طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله)) (٢٨).

٣. اهتمام التربية الإسلامية بتعليم الفرد وتربيته وثقافته، وقد وردت الكثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية تحض على العلم والأخذ به وكانت أول آية من القرآن نزلت على الرسول الكريم (ص) هي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٢٩). والتربية والتعليم عند أعلام المربين المسلمين مهنة تحتاج الى مران ومراس فقد قال ابن عبدون ((والتعليم يحتاج إلى معرفة ودراية ولطف فإنه كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج الى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل التعليم)) (٣٠).

٤. ميز الفكر التربوي الإسلامي بين العلماء والجهال (٣١). وقال الله سبحانه وتعالى مفضلاً أهل العلم والتربية: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣٢).
٥. اهتمام الفكر التربوي الإسلامي بالزامية التعليم وتوفير مستلزماته قدر المستطاع .

ثانياً : مصادر الفكر التربوي الإسلامي .

أ. القرآن الكريم: يعد القرآن الكريم هو مصدر التشريع الإسلامي الأول ودستوراً لحياة المسلمين في مختلف جوانبها (٣٣).

ب . السنة النبوية: تعد السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الفكر الإسلامي قال تعالى: ﴿لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٣٤). وتشمل السنة أقوال النبي محمد (ص) وأفعاله ، وما أقره من أفعال المسلمين.

ج . الإجماع : ودليل حجة الإجماع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٣٥) .

(٢٧). الآية (٢-٣) من سورة الصف.

(٢٨). عبد الله زاهي الرشدان ، الفكر التربوي الإسلامي ، ط١، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان- الأردن ، ٢٠٠٤م، ص ١٤-١٥.

(٢٩). الآية(١) من سورة العلق.

(٣٠). أحمد شبلي ، تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ١٧٤.

(٣١). سعد مرسي أحمد وسعيد إسماعيل علي ، تاريخ التربية والتعليم في مصر، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨م، ص ١٥٦.

(٣٢). من الآية(٩) من سورة الزمر.

(٣٣). علي تركي شاکر الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨٣١.

(٣٤). الآية(٤٤) من سورة النحل .

(٣٥). الآية(١١٥) من سورة النساء.

د . الاجتهاد: يلجأ إليه المسلمون لايجاد الحلول للمشكلات المعاصرة على وفق ما جاء في الكتاب والسنة والاجماع^(٣٦). ويبدو أن هذا الأسلوب قد ظهر بعد انتشار الإسلام وبروز مسائل تتطلب إصدار أحكام شرعية مما أظهر لنا العديد من المذاهب الفقهيّة الإسلاميّة.

ثالثاً: سمات التربيّة الإسلاميّة:

- أ. إن التربيّة الإسلاميّة تهدف الى إيجاد المواطن الصالح وتعدّه أكبر أهدافها وأشملها^(٣٧).
- ب. تشمل التربيّة الإسلاميّة أنواع المعرفة المفيدة للفرد والمجتمع جميعها.
- ج. تتصف بالتوازن بين أنواع المعرفة، فلا تزيد من العلوم النظرية على حساب العلوم العمليّة أو العكس^(٣٨).
- د. تهتم بالزامية التعليم ومجانيته، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة^(٣٩).
- هـ. تعتمد التربيّة الإسلاميّة على تكافؤ الفرص في التعليم للجميع وأفراد المجتمع الإسلامي متساوون في التعليم وقد أكد القرآن هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَظَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤٠).
- و. ترفع قيمة المعلم والاهتمام بالتعليم قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤١).
- ز. تعتمد التربيّة الإسلاميّة على أخذ المعرفة المفيدة من أي مكان بما لا تتنافى مع القيم الإسلاميّة^(٤٢).
- ح . الاهتمام بالجانب الروحي أو التربيّة الروحية، لأن التربيّة الإسلاميّة غايتها عقد الصلة الدائمة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى.

^(٣٦). عزمي طه السيد وآخرون، الثقافة الإسلاميّة، ط٢، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م، ص٩٠-٩١.

^(٣٧). علي تركي شاكر الفتلاوي ، المصدر السابق ، ص ١٨٣١.

^(٣٨). المصدر نفسه .

^(٣٩). المصدر نفسه .

^(٤٠). الآية (١٣) من سورة الحجرات.

^(٤١). من الآية (٩) من سورة الزمر.

^(٤٢). علي تركي شاكر الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨٣٢.

المبحث الثالث

لحات من سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع) وكتاب نهج البلاغة

أولاً: لحات من سيرة الإمام علي (ع)

١. **اسمه ونسبه وولادته:** هو علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٤٣). سمته أمه حيدر وهو اسم الأسد ، فغير أبو طالب اسمه وسماه علياً وقيل إن ذلك اسم قريش كانت تسميه به^(٤٤). أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي^(٤٥). وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً وفي هذا مزية امتاز بها الإمام علي(ع) من حيث النسب^(٤٦)، وكانت ولادته في الكعبة المشرفة يوم الجمعة ٣ رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل قبل البعثة النبوية بخمس سنوات^(٤٧).

٢. **نشأته وسماته شخصيته:** يصف ابن أبي الحديد الإمام علي(ع) في مقدمة الجزء الأول من كتاب شرح نهج البلاغة: ((اجتمع للإمام علي بن أبي طالب (ع) من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخلال، وسناء الحسب وباذخ الشرف؛ مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، مالم يتهدأ لغيره من أفاذ الرجال..، واختص بقربته القريبة من الرسول عليه السلام، فكان ابن عمه، وزوج ابنته، وأحب عترته إليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته ، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه..، فكان من افقه أصحابه وأقضاهم، واحفظهم وأوعاهم ؛ وأدقهم في الفتيا؛ وأقربهم إلى الصواب ؛ وحتى قال فيه عمر : ((لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن..))^(٤٨). وكان عليه السلام كان كما وصفه الحسن البصري: ((سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها..، لم يكن بالنؤمة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض موقنة وأعلام مشرقة))^(٤٩). وكان الإمام علي(ع) في طفولته طفلاً مبكراً للنماء سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة ؛ لأنه أدرك في السادسة أو السابعة من عمره شيئاً من الدعوة النبوية التي يصعب فهمها على من كان في مثل هذه السن المبكرة^(٥٠).

^(٤٣). محب الدين أحمد الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار المعرفة ، بيروت- لبنان ، د.ت، ص١٠٦-١٠٧.

^(٤٤). أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ط١، دار الأميرة ، بيروت ، ٢٠١١م، ص١٦.

^(٤٥). ابن سلام أبو عبد القاسم ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، ج٣، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص١٩.

^(٤٦). جعفر الهاشمي ، المناهج الإسلامية للمعاهد القرآنية ، ط١ ، نينوى ، ١٤٢٨هـ، ص١٣٢-١٣٣..

^(٤٧). المصدر نفسه ، ص١٣٣.

^(٤٨). ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج١، ص٣-٤.

^(٤٩). المصدر نفسه ، ص٤-٥.

وكان إسلامه (عليه السلام) كما يذكر أصحاب السير والباحثون وهو ابن عشر سنين وقال آخرون ابن تسع سنين ، وهي عن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)^(٥١). ويرجح الكثير من المحققين، والباحثين، في كتب السير، والتاريخ أنه دخل الإسلام وهو ابن ثماني سنوات، وهذا يدل على نشأته في ظل التربية الإسلامية منذ نعومة أظفاره، ورسخت مبادئها في حسه وضميره مما جعله ينهل من هذا المعين الذي جعله بحق عَلَمًا من أعلام التربية في الإسلام، وتكاملت شخصية الإمام علي (ع) بكل خصائصها الموروثة من آبائه ، وتربيته في حجر النبوة التي منحته خصائص وصفات وآدابًا وأخلاقًا امتاز بها عن غيره من معاصريه . فكان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتتطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله^(٥٢).

كان علي(ع) هو الشجاع الذي ما فرّ قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحدًا إلا قتلته، ما ضرب ضربة قط واحتاجت الأولى إلى ثانية، وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها^(٥٣). وأما الجهاد فمعلوم عند أعدائه قبل محبيه انه سيد المجاهدين ، وفلسفة الحياة عند الإمام علي (ع) تقوم على حرية الإنسان وتتخلص بكلمة قالها لولده الحسن (ع): ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا))^(٥٤).

وكان الامام علي(ع) سيد الزاهدين في الدنيا يكنس بيت المال ثم يصلي فيه، وهو الذي قال: ((يا صفراء ويا بيضاء غزّي غيري)). وهو الذي لم يخلف ميراثاً، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان في الشام .وأما اللحم والصفح فكان أحلم الناس عن المذنبين وأصفحهم عن المسيئين وتتجلى صحة هذا القول يوم معركة الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدّهم بغضًا فصفح عنه^(٥٥).

إن عناية الله بالإمام علي (ع) هي التي جعلت من شخصيته مثار إعجاب ودراسة وبهذا الصدد يقول الحافظ الكنجي الشافعي فيما يرويه عن الحاكم النيشابوري ((ولم يولد قبله -أي قبل

(٥١).عباس محمود العقاد،عبقريّة الإمام علي(عليه السلام)،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ١٤٢٦هـ،ص١٤.

(٥١).عبد الكريم الخطيب، أسس علم الاجتماع التربوي ، ج٢، جامعة الفاتح ، طرابلس ، ١٣٩٥هـ ، ص١٠٠.

(٥٢).محمد يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، دار المعرفة، ج١، بيروت ،١٩٩٢م، ص٣٧-٣٨.

(٥٣).إبن أبي الحديد ،المصدر السابق،ج١، ص٢٠-٢١.

(٥٤).عبد الحميد المهاجر، الإمام علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج١،

بيروت، ١٩٩٢م، ص٥١.

(٥٥).إبن أبي الحديد ، المصدر السابق، ج١، ص٢٢.

علي - ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلّه في التعظيم)).^(٥٦) وفضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى، ومناقبه أبعد من أن تنتاهي، وكيف تعد مناقب رجل قال فيه الرسول الأعظم (ص) يوم برز لعمر بن عبد ود العامري: برز الإيمان كله إلى الشرك كله، وقال فيه بعد ما قتله: ضربة علي لعمر بن عبد ود الخندق تعدل عبادة الثقلين، وقال عبد الله بن عباس: نزل في علي ثلاثمائة آية^(٥٧). واكتفي بعرض خمس آيات مما نزل فيه عليه السلام: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥٨)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٥٩)، وقوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦٠)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٦١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٦٢).

وفي أحاديث الرسول (ص) لم يزل الرسول الأعظم (ص) منذ بعثته وحتى وفاته يشيد بأمر المؤمنين عليه السلام في كل ناد ومجمع، ومنتدى ومحفل، ولا يمكن إحصاء ما جاء من أحاديث الرسول الأعظم (ص) في الإمام عليه السلام، ونذكر هنا ثلاثة أحاديث في فضله عليه السلام: قال رسول الله (ص) ((علي مع الحق والحق مع علي))، وقال عمر بن الخطاب: ((أشهد على رسول الله (ص) لسمعته يقول: إن السموات السبع، والأرضيين السبع، لو وضعا في كفة ثم وضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي بن أبي طالب))، وفي صحيح البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص: قال: ((إن رسول الله (ص) خلف علي رضي الله عنه في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟ قال (صلى الله عليه واله وسلم): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(٦٣).

^(٥٦) عبد الحسين رزوقي الجبوري، نفحات تربوية في حياة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكالة أنباء براتا، (١٠/١١/٢٠٠٩م) على الرابط: <http://burathanews.com/arabic>
^(٥٧) المصدر نفسه.

^(٥٨) الآية (٢٧٤) من سورة البقرة.

^(٥٩) الآية (٥٥) من سورة المائدة.

^(٦٠) الآية (١٩) من سورة التوبة.

^(٦١) الآية (٣٣) من سورة الزمر.

^(٦٢) الآية (٩٦) من سورة مريم.

^(٦٣) عبد الحسين رزوقي الجبوري، المصدر السابق.

٣. أبناؤه

أصبح للإمام علي بن أبي طالب (ع) أولاد من فاطمة الزهراء (ع) وهم الحسن والحسين (ع) ومحمد ، وزينب وأم كلثوم ، ولم يتزوج أخرى في حياة فاطمة (ع) ، ومن بعدها تزوج بأب البنين بنت حزام الكلابية، وخوله بنت جعفر بن قيس بن الحنفية، وأم حبيبة، وليلى بنت مسعود وأسماء بنت عميس^(٦٤).

٤. **خلافته:** حين نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦٥) صعد رسول الله (ص) إلى المنبر وخرج معه علياً (ع) وقام وخطب خطبة بليغة ووعظ فيها ثم زجر وقال في آخر كلامه: ((أيها الناس الست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى يا رسول الله ، ثم قال : قم يا علي فأخذه بيده ورفع حتى ظهر بياض إبطيه وقال: ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فناداه القوم بأجمعهم يا رسول الله سمعنا وأطعنا أمر الله ورسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا وجاء أصحابه إلى أمير المؤمنين (ع) وهنأوه بالولاية))^(٦٦)، ونزل جبرائيل بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٦٧) وبويع علي بن أبي طالب (ع) في اليوم الذي قتل فيه الخليفة عثمان بن عفان (رض)، فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً^(٦٨).

٥. علمه ومن أقواله في فضل أهل العلم ومجالستهم :

كان الإمام علي بن أبي طالب (ع) عالماً فذاً، وحكيماً بارعاً ، وفيلسوفاً حاذقاً، وأديباً مفوهاً، نال من البلاغة وقوة الخطابة وسرعة البديهة ما لم ينله أحد على مر العصور، وهو بحق يستحق هذه المنزلة العلمية، وقد صدق رسول الله (ص) عندما قال: ((أنا مدينة العلم وعليّ

^(٦٤) محمد كاظم القزويني، الإمام علي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد، ط ١٥، دار القاري، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٩.

^(٦٥) الآية (٦٧) من سورة المائدة.

^(٦٦) محمد كاظم القزويني، المصدر السابق ، ص ٢٣٩.

^(٦٧) من الآية (٣) من سورة المائدة.

^(٦٨) أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ج ٢، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٦٦.

بابها))^(٦٩). أخذ الإمام علي(ع) منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى نهاية خلافته يحث المسلمين على طلب العلم والمعرفة، وأدى ذلك إلى انتشار العلماء والأدباء والخطباء في عصره بشكل لم يسبق له مثيل ، وبدأت قواعد اللغة العربية تبرز إلى الوجود في عصره ، كما انتشر الخط العربي بزخارفه وفنونه المختلفة^(٧٠). فضلاً عن ذلك، كان للإمام علي(ع) جهود خاصة في جمع القرآن، ويروي ابن النديم في فهرسته ذلك بقوله: ((قال ابن المنادي: حدثني الحسن بن العباس..، عن علي (ع) أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي(ص) فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه))^(٧١).

ويذكر ابن عبد ربه في (العقد الفريد) مقالةً للإمام علي(ع) في فضل العلم تعدّ من أروع ما قيل في العلم، فيذكر ابن عبد ربه ذلك بقوله: ((حدثنا أيوب بن سليمان .. ، عن أبي مخنف، عن كميل النخعي، قال: أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فخرج بي إلى ناحية الجبانة، فلما أصحر (يعني بلغ الصحراء) تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعا، أتباع كل ناعق، مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. يا كميل، العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله. يا كميل ، مات خزّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة . ها إن هاهنا لعلمًا جمًّا- وأشار بيده إلى صدره - لو وجدت له حَمَلَةٌ ..، كذلك يموت العلم بموت حامله. اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائمٍ بحجة الله إمامًا ظاهرًا مشهورًا، أو خائفًا مغمورًا، لئلا تبطل حجج الله وبياناته، وكم ذا، وأين؟ أولئك والله الأقلون عددًا والأعظمون عند الله قدرًا، بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان حتى باشروا روح اليقين، فاستلنا ما استخشن المترفون، وأنسوا بما استوحش منه

^(٦٩). منصور محمد سرحان، الإمام علي (ع) وحثه على طلب العلم ، جريدة الوسط البحرينية، العدد(٣٩٧٨)،

٢٨ تموز ٢٠١٣م مقال منشور على الرابط: <http://www.alwasatnews.com/news>

^(٧٠).المصدر نفسه .

^(٧١).أبي الفرج محمد بن اسحاق النديم ، الفهرست ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، د.ت ، ص ٢٤ .

الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقةٌ بالرفيق الأعلى. يا كميل، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه.. ((^(٧٢)).

كذلك قال الإمام عليُّ (ع) بحق العلماء: ((من حق العالم عليك إذا أتيتَه أن تُسَلِّمَ عليه خاصَّةً، وعلى القوم عامَّةً، وتَجَلِسَ قُدَّامَه، ولا تُشِرَّ بيدك، ولا تَعْمِرَ بعَيْلِكَ، ولا تُقُلَّ: قال فلان خلفك قولك، ولا تأخذ بثؤبه، ولا تُلحَّ عليه في السؤال، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة، التي لا يزال يسقط عليك منها شيء))^(٧٣).

ثانياً: أهمية كتاب نهج البلاغة: نهج البلاغة اسم وضعه الشريف الرضي على كتاب جمع فيه المختار من كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، ويعدّ كتاب نهج البلاغة من أبرز كتب التراث الإسلامي ؛ إذ اشتمل الكتاب على عدد كبير من الخطب ، والمواعظ ، والعهود ، والرسائل ، والحكم ، والوصايا والآداب ،^(٧٤). حاول ابن أبي الحديد في شرح هذا التراث القيم إلى انتقاء أبلغ وأجمل الأحاديث المروية عن الإمام علي (ع)^(٧٥). أما مُصنّف نهج البلاغة فهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ويلقب بالشريف الرضي ، من الشخصيات الإسلاميّة البارزة في القرن الرابع الهجري، ولد في بغداد عام (٣٥٩هـ)، وتوفي عام (٤٠٦هـ)، وقد دون الشريف الرضي نهج البلاغة عام (٤٠٠هـ)، أي قبل وفاته بست سنوات^(٧٦).

حاز كتاب نهج البلاغة على شهرة واسعة، وكتب الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة، يقول: ((أما كلامه، فهو من البحر الذي لا يساجل ، والجم الذي لا يحافل، وأردت إن يسوغ لي التمثيل في الافتخار به (عليه السلام) بقول الفرزدق: أولئك آبائي فجننتي بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع ورأيت كلامه (عليه السلام) يدور على أقطاب ثلاثة : أولهم الخطب والأوامر، وثانيها الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والمواعظ. فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب))^(٧٧).

وقال ابن أبي الحديد في مقدمة شرحه على (نهج البلاغة): ((علي (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيد البلغاء ، وعن كلامه قيل دون الاخلاق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة

^(٧٢). أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلميّة، ج ٢، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٨١-٨٢ .

^(٧٣). المصدر نفسه ، ص ٩١ .

^(٧٤). ينظر: ابن أبي الحديد ، المصدر السابق، ج ١، ص ٧.

^(٧٥). ينظر الموقع الالكتروني : <http://www.ar.islamic-sources.com/book>

^(٧٦). ينظر الموقع الالكتروني : <http://www.haydarya.com>

^(٧٧). ينظر : مقدمة الشريف الرضي على نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، المصدر السابق، ج ١، ص ٧ .

والكتابة^(٧٨)). وقال الشيخ محمد عبده (مفتي مصر الأسبق) في مقدمة شرحه: ((وبعد، فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة..، فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته ، من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرقات . فكان يخيّل لي في كل مقام أن حروباً شبت، وغارات شنت، وإن للبلاغة دولة، ولفصاحة صولة..، بل كنت كلما انتقلت من موضع إلي موضع ، أحس بتيّر المشاهد ، وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبرات الزاهية، تطوف علي النفوس الزاكية ..، وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً، فصل عن الموكب الالهي، واتصل بالروح الإنساني..، وأتات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب، ويبصّرهم مواضع الارتباب ، ويحذرهم مزلق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة...))^(٧٩).

ويبدو أن ثمة عللاً متعددة ومتضاربة نسجت (لنهج البلاغة) أردية الخلود والبقاء منها^(٨٠):

١. إن السبب المهم يتمحور حول شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) الفذة ، وجامعيته للصفات والخصال التي تجلّت في كلامه، وبلاغته ، إذ قال عبد الحميد بن يحيى العامري (ت ١٣٢٢ هـ): ((حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح ففاضت ثم فاضت))، وقال ابن نباتة: ((حفظت من الخطابة كنز لا يزيد الإنفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواظ علي بن أبي طالب))^(٨١).

٢. تنوع المفاهيم وجامعية الكلمات التي لا يحسّ المرء معها أنه أمام كتاب سياسي، أخلاقي ، عقائدي ، وتاريخي .

٣. نهج البلاغة يعكس تاريخ التطورات السياسيّة التي مر بها المجتمع الإسلامي بعد رحيل النبي محمد (ص)، وهو نتاج تلك المدة القصيرة لحكومة الإمام علي (ع)، والتي صادفت أزمات داخلية حادّة، وتيارات اجتماعية مختلفة، من القاسطين والمارقين والناكثين ، فخرج (عليه السلام) من جميع ذلك منتصراً مرفوع الرأس.

٤. اشتمل نهج البلاغة على نوع من علم النفس الاجتماعي ، إذ صور نهج البلاغة تصويراً دقيقاً لنفسيات الناس المختلفة.

^(٧٨)، ينظر : مقدمة شرح ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤.

^(٧٩)، ينظر : مقدمة شرح الشيخ محمد عبده على نهج البلاغة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان، د. ت، ص ٣- ٤.

^(٨٠)، ينظر : مقال بعنوان: أهمية نهج البلاغة، شبكة المعارف الإسلاميّة : <http://www.almaaref.org>

^(٨١)، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤ .

٥. كلما ولج الكتاب ميداناً خاض فيه إلى أوجهٍ وكماله، فخطبة همّام والقاصعة، فيهما ترسيم دقيق لملامح المتقين ، وعهده إلى مالك الاشر النخعي واليه على مصر مشحون بصفات من يتصدّي للحكم وإدارة البلاد ، ووصيته إلى الإمام الحسن(ع) حفلت بأنواع الوصايا والسلوك الاجتماعي والفردى ، وخطبته الأولى فيها التذكير بعظمة الخالق وعجائب خلقه ، وخطبة الشقشقية، فيها تلميح الى الحوادث المريرة التي أعقبت وفاة رسول الله(ص)، والمحن التي تعرض لها أهل البيت(ع) والخطبة(١٧٦) فيها تمجيد القرآن الكريم، وحثٌ على استجلاء عجائبه وغرائبه.

المبحث الرابع

أهمية التربية والتعليم وأبعادها الاجتماعية في ضوء خطب الإمام علي(ع) في نهج البلاغة

أولاً: أهمية التربية والتعليم لدى الإمام علي(ع) ووظائفها

اهتم الإمام علي(ع) بنشر العلم بين المسلمين وطالبهم بالاغتراف من مناهله والتسلح به، فهو أفضل وسيلة لبقاء الإنسان وخلوده ، وجاءت أقواله وحكمه وخطبه تبين مدى عمق تفكيره وفلسفته الواضحة التي أدت إلى تطوير المجتمع العربي ثقافياً وأدبياً، فبرز في عهده علماء اللغة وجهاً بذتها وجمهرة من الخطباء والمفكرين^(٨٢). ومن بين ما قاله الإمام علي في فضل العلم نورد التالي: ((منهومان لا يشبعان، طالبُ علمٍ وطالبُ دنيا))، ((تعلّموا العلم فإن تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة وهو عند الله لأهله قربة)). ((أيها الناس اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به))، ((العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم تُلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه)). ((كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمّاً أن يبرأ منه من هو فيه)). ((قيمة كل امرئ ما يحسنه))... وفي هذا الصدد قال شعراً^(٨٣):

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاءً
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(٨٢). إبن ابي الحديد ، المصدر السابق ، ج ١، ص ٢٤ .

(٨٣). المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

إنّ مفهوم التربيّة من وجهة نظر الإمام علي بن أبي طالب (ع) تختلف عن وجهة نظر الآخرين فالإمام علي(ع) لا يريد العلم من أجل العلم أو من أجل شيء آخر إنما يريده من أجل التغيير والتبديل والنمو؛ لذلك لم يؤمن بالكمية دون النوعية والنوعية بدون فاعلية. ومن خلال هذا المفهوم التربوي يرى الإمام أن الإنسان هو الغاية الأخيرة لهذه الموجودات ومن أجل ذاته خلق الله ما خلق من طبيعة وكون ووجود وعبر الإمام(عليه السلام) عن غاية التربيّة بقوله: ((فإله سبحانه قبل أن يخلق الإنسان خلق الكون ورتبه أحسن ترتيب ونظمه أجمل تنظيم ومهد الأرض وأتم مرافقها على أكمل وجه ، فخلق فيها الهواء الطلق وأجرى فيها العيون والأنهار ، وأعد أنواع الأطعمة والأشربة))^(٨٤).

لقد وضع الإمام علي(ع) مفهومه عن ماهية التربيّة وأهدافها وطبيعتها فهو يلخص التربيّة بمفهوم الإيمان بمبدأ التكيف العاقل وإعداد للبيئة من جانب المتعلم ، والعمل على بناء الإنسان بما جاء به الإسلام ومنهج الدين الإسلامي والعمل بمنهج سنة الرسول محمد(ص) ، والتربيّة بناء وإصلاح للفرد والمجتمع وتنظيم لعلاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه .
أما وظائف التربيّة عند الإمام علي (عليه السلام) فهي كالآتي:

أ . نقل التراث الثقافي : إنّ المجتمع الذي يريد لنفسه البقاء والاستمرار إنما يتأتى له ذلك بفضل عملية النقل والاتصال الثقافي ويتم ذلك عن طريق نقل الثقافات والأعراف والتقاليد إلى الصغار الناشئين كما يظهر في كلامه مع ابنه الحسن (ع) إذ يقول: ((أي بني وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما أنتهي إلى من أمورهم ، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله ، وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهولة))^(٨٥).

ب . التغيير الاجتماعي : يقصد بالتغيير الانتقال من حالة معينة إلى غيرها أو من مستوى معين إلى مستوى آخر جديد ، وأن التغيير الذي نعنيه هنا هو تغيير نحو الأحسن .

ج : المساواة بين الناس في الأرزاق وأثر صلة الرحم: أشار الامام علي(ع) في الخطبة (٢٣)، في قسمة الأرزاق بين الناس وصلة الرحم ونص الخطبة : ((أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ أَنْ أَمْسَكَهُ ، وَلَا يُنْقِصَهُ أَنْ أَهْلَكَهُ ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنِ

^(٨٤).علي تركي شاکر الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨٣٢.

^(٨٥).المصدر نفسه ، ص ١٨٣٣.

عَشِيرَتُهُ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْ ثَلَاثٍ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةُ))^(٨٦).

قال ابن أبي الحديد: إن الإمام علي (ع) بعد أن قرَّطَ الثناء والذكر الجميل، وفضله على المال، أمر بمواساة الأهل، وصلة الرحم، وأقل ما يواسى به ، فقال: ((ألا يعدلن أحدكم عن القرابة...))، وقد قال الناس في هذا المعنى فأكثرُوا. ويرى الباحث علي تركي شاکر أن الإمام فضل الثناء والذكر الجميل على المال، وأمر بمواساة الأهل وصلة الرحم لأنها تزيد في الرزق وتطيل العمر^(٨٧) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٨٨)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٨٩) .

د. التماسك الاجتماعي: وأكد (عليه السلام) على التماسك الاجتماعي لأنه يزيد من قوة المجتمعات، ويبين لنا أن الفرد بحاجة الجماعة أكثر من حاجتهم إليه وامتناعه عنهم سيمنعهم عنه وهم العدد الأكبر مما يؤثر في علاقاته ومكانته الاجتماعية.

هـ. الكرم والبذل والعطاء: ويؤكد عليه السلام أهمية الكرم والبذل والعطاء في الحفاظ على بناء المجتمعات وإدامة المودة فيها، وهو لا ينقص من مال الإنسان ورزقه فالأرزاق مقدره من الله^(٩٠). قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٩١).

و. الوفاء والصدق: ذكر الإمام علي(ع) في الخطبة رقم (٤١) ما نصه: ((إنَّ الوفاءَ تَوْعَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَىٰ مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مِنْ عِلْمٍ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَدْرِ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَىٰ حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ بَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهَرُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ))^(٩٢). ويقول ابن أبي الحديد أن الإمام

^(٨٦) ابن أبي الحديد ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٣.

^(٨٧) علي تركي شاکر الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨٣٥.

^(٨٨) الآية (١) من سورة النساء .

^(٨٩) الآية (٧٥) من سورة الأنفال.

^(٩٠) علي تركي شاکر الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨٣٥.

^(٩١) الآية (٧١) من سورة النحل.

^(٩٢) ابن أبي الحديد ، ج ٢، ص ٣١٢.

علي(ع) جعل الوفاء توعم الصدق؛ لأنّ الوفاء صدقٌ في الحقيقة، وكأنهما أعمّ وأخص، وكل وفاء صدق وليس كلّ صدق وفاء . وأنّ الوفاء محفوظ من الله ، مشكور بين الناس، ونهى عن الغدر ؛ لأنه يحبط الإيمان ، والمكر من الذكاء وذم عليه السلام لمن يعتقد بأن الغدر وحسن الحيلة وصحة التدبير، وأن من لادين أو ايمان له يلجأ الى الحيل والكذب وعدو الوفاء بالوعد^(٩٣) . وفي هذه إشارة إلى خصومه عليه السلام في معركة صفين، وما كانوا يقولون في عمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وينسبون ذلك إلى الدهاء والفتنة.

ثانياً: الأبعاد التربوية والتعليمية في خطب نهج البلاغة

١. دور الأسرة وأهميتها

لا نكاد نجد في تشريع ما، أرضي أو سماوي، مثل هذه القاعدة الجليلة التي جعلها القرآن أساساً للحياة الزوجية ولفت بها الأنظار إلى ما بين الزوجين من الحقوق والواجبات^(٩٤)، تلك القاعدة التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٩٥).

ويشير الإمام علي(ع) إلى أهمية هذه المؤسسة وأثرها على الفرد والمجتمع فيقول: ((أيها الناس، إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمهم لشعثه وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره))^(٩٦). إلى أن يقول: ((إلا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيد إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن تلت حاشيته يستدم من قومه المودة))^(٩٧).

٢. النزعة والعصبية العشائرية

تدارك الإمام علي(ع) هذا الظلم الناجم من استغلال البعض لهذه الصلة من أجل تحقيق مآرب شخصية ولم يتسامح في أي عمل يستحق المؤاخذه ومن أي مصدر كان قريباً أم بعيداً، فعندما تنكر عبد الله بن عباس والي البصرة لابن عمه علي بن أبي طالب(ع) وسرق أموال المسلمين مدعيًا حقه فيما أخذ، كتب إليه الإمام يعنفه ويوبخه ويتوعده بالقتل إن لم يرجع للناس

^(٩٣) .إبن أبي الحديد ، ج٢، ص ٣١٢-٣١٣.

^(٩٤) .جون ديوي ، الديمقراطية والتربية ، ترجمة: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ١، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٢٠ .

^(٩٥) .من الآية(٢٢٨) من سورة البقرة.

^(٩٦) .ينظر : إبن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٦، ص ١٥٤.

^(٩٧) .المصدر نفسه، ص ١٦٨؛ الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

أموالهم التي سرقها^(٩٨)، فيقول: ((فائق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك لم تفعل، ثم أمكنني الله منك، لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار))^(٩٩).

وهكذا فالإمام علي(ع) أقسم أن ولديه، على قربهما منه وكرامتهما عليه، لو فعلا ما فعله ابن عباس من الخيانة، لما كانت لهما عنده هودة في أخذ الحق منهما، لأنه لا يخشى فيه لومة لائم. فيقول: ((والله لو أن الحسن والحسين فعلاً مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هودة، ولا ظفرا مني بإرادة حتى أخذ الحق منهما، وأزيح الباطل عن مظلمتها))^(١٠٠).

لقد أراد الإمام علي(ع) من الإنسان أن يكون نصيراً للحق، ثابتاً عليه، فلا تأخذه فيه شفقة أو رحمة أو عاطفة أو عصبية، وإذا كان للعصبية شأنها في تقوية الصلة بين أفراد العشيرة فإن الإمام علي(ع) يسمو بها إلى درجة تحدّمًا يلحق بها من مظالم وأحقاد ويجعلها سبباً لمكارم الأخلاق.

فهو إذ يوبخ الناس على تعصبهم للباطل الذي تثور به الفتن، وتسفك بسببه الدماء، لسببٍ واهٍ، كتعصب إبليس على آدم لأصله، ويقول لهم: ((ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة))^(١٠١). فإنه يحذرهم من هذا الأمر، وما ينبغي أن تكون له، وهي مكارم الأخلاق التي تفاضل بها أهل المجد والشرف والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل فيقول: ((فإن كان لا بدّ من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأخلاق، ومحاسن الأمور...))^(١٠٢)؛ لذلك حاول الإمام (ع) أن يصرف العصبية العمياء بطريقة تكفل السلامة النفسية. إذ لا يمكن كبت تلك القوى لأنها سوف ترتد إلى اللاشعور أو الجانب المظلم من النفس، وتصبح من الدوافع اللاشعورية والرغبات المكبوتة التي ((لا تستقر ولا تهدأ بل تحاول جاهدة أن تعبر عن نفسها بثتى الصور...، كما في أحلام النوم كتعبير رمزي عن محتويات اللاشعور، كما تعبر عن نفسها في صورة أمراض عصابية))^(١٠٣).

^(٩٨)، ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٦٦.

^(٩٩)، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٦٦.

^(١٠٠)، حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، ط ٨، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م، ص ١١٥.

^(١٠١)، المصدر نفسه، ص ١٦٦؛ الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

^(١٠٢)، ينظر: ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٨، ص ٢٧١.

^(١٠٣)، حلمي المليجي وعبد المنعم المليجي، النمو النفسي، ط ٤، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٤.

٣. مبدأ الثواب والعقاب

للإمام علي (ع) أسلوب تربوي في توجيه دوافع الفرد، تمثل في مبدأ الثواب والعقاب ولقد اعتمده من أجل تشجيع الإنسان على فعل الخير ونهيه عن فعل الشر، لما في الثواب أو العقاب، المادي أو المعنوي، من أثر في إصلاح رغباته ودوافعه وذلك يتحقق عن طريق:

أ. العواطف

والعاطفة، وإن كانت من الروابط الهامة بين أفراد الأسرة الواحدة إلا أنه لا ينبغي أن تصل إلى حد الإفراط أو التفريط لأن كلاهما مضر ومفسد لنفسية الإنسان كما يقول عليه السلام: ((فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد))^(١٠٤)، ولقد عبر الإمام علي(ع) عن هذه العاطفة النبيلة بقوله: ((ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي))^(١٠٥).

ب. الحقوق والواجبات

أدرك الإمام(ع) هذا العصر ومنذ آلاف السنين وكشف عما يعتوره من رذائل ومفاسد فيقول: ((يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف يعدون الصدقة فيه غرماً، وصلة الرحم مناً، والعبادة استطالة على الناس))^(١٠٦). ونظراً لأهمية الأسرة كإحدى الركائز الثابتة في بناء المجتمعات وتقدمها فإن ما تحدث به الإمام (ع) يدعو إلى تدعيمها وتوثيق الصلة بين أفرادها من خلال ربطها بحقوق وواجبات تكفل لها الاستمرار والتقدم فجعل للأبناء حقاً على الآباء، وكذلك للآباء على الأبناء، وألزم كلا منهما واجبات تجاه الآخر.

إن طاعة الوالدين وبرهما من علامات المؤمن لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(١٠٧)، ولقد أوصى سبحانه ببر الوالدين وصلتهما في قوله الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾^(١٠٨) ومعاملتهما في الدنيا بالمعروف حتى وإن خالفا قول الحق لقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

^(١٠٤) .حلمي المليجي وعبد المنعم المليجي، المصدر السابق، ص ٢٢٠؛ الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

^(١٠٥) .ينظر: ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٧٥.

^(١٠٦) .المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٢٦٠.

^(١٠٧) .من الآية(٥١) من سورة النور.

^(١٠٨) . من الآية(١٤) من سورة لقمان .

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿١٠٩﴾، وقوله عزّ القائل: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (١١٠).

وهكذا فحق الآباء على الأبناء هو البر والطاعة في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه، وعدم زجرهما أو التآفف منهما ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (١١١).

أما حق الأبناء على الآباء فيتجلى في أمور أربعة هي : الأول تحسين الاسم، والثاني من حق الولد على والديه أيضاً حسن اختيار مرضعته. ويرى الإمام علي (ع) أن لبن الأم هو أكثر فائدة للصبي من لبن أية مرضعة أخرى كما يقول: ((ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه)) (١١٢)، وإذا تعذر ذلك فإنه يوجب النظر في اختيار المرضعة فيقول: ((انظروا من يرضع أولادكم فإن الولد يشب عليه)) (١١٣). وقد عبر عن ذلك ابن سينا في قوله: ((إن من حق الولد على والديه إحسان تسميته ثم اختيار ظئرة كي لا تكون حمقاء ولا ردهاء ولا ذات عاهة فإن اللبن يعدي كما قيل)) (١١٤). والثالث في تحسين الأدب: والطفل أمانة والديه، ونفسه جوهرة نقية خالية من كل نقش، لذلك وجب أخذه بالآداب الصالحة والأخلاق النبيلة والعلوم النافعة. والأمر الرابع في تعليمهم القرآن: وما ذلك إلا لأن القرآن يأمر بالخير، وينهى عن الشر ويجنب قبائح الأخلاق ويدعو إلى محاسن الفضائل والآداب وفيه شفاء من النفاق وهداية من الضلال. وقد عبر الإمام علي (ع) عن فضل القرآن بقوله: ((واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب ..، واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق ..، فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكم واستصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم)) (١١٥).

ولا شك من أن المسؤولية الأولى في تربية الطفل إنما تقع على عاتق الأسرة ولقد أظهرت الأبحاث والدراسات تأثر الطفل بصفات آبائه الخلقية والعقلية، باعتباره مطبوع على الاقتداء بهم والسيرة على نهجهم. ذلك لأن ((أكثر أخلاق الطفل وسجاياه يأخذها من الوسط الذي يعيش فيه،

(١٠٩). من الآية (١٥) من سورة لقمان.

(١١٠). من الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

(١١١). الآية (٢٤) من سورة الإسراء.

(١١٢). السيد حسن الميرجهاني الطباطبائي، المصدر السابق، ص ١٧١.

(١١٣). المصدر نفسه، ص ١٧٠؛ الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

(١١٤). أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، السياسة، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ط ١، مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، ج ١، ٢٠١٠م، ص ١٠١.

(١١٥). ينظر: ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٨-١٩.

فتتمو فيه وتترسخ لكثرة استعمالها والمداومة عليها، فترة طويلة، إلى أن تصبح عادة متأصلة في طبعه))^(١١٦). ونظراً لهذه المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الأسرة، فلا عجب أن يمتدحها الإمام علي(ع) ويوصي بها خيراً فيقول: (وأكرم عشيرتك فإنهم جناحيك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول)^(١١٧). ويدعو إلى حسن معاملة كل فرد من أفرادها.

ج. سياسة الأسرة : وتتضمن أسلوب الرجل في تعامله مع زوجته وولده وخدمه باعتباره سيد الأسرة ومديرها ومنظم شؤونها.

١. سياسة المرأة: إن موقف الإمام علي(ع) من المرأة هو موقف الإسلام بالذات. يقول محمد جواد مغنية ((إن أقوال الإمام وآراءه، وواقعه هو واقع الإسلام وأقواله هي أقوال القرآن، لا يفترقان أبداً، حتى يردا الحوض على رسول الله (ص) كما جاء في الحديث الشريف...))^(١١٨).

لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل رغم اختلافهما بيولوجياً، ولم يفاضل بينهما إلا بالتقوى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١١٩). وضمن للمرأة حقوقاً ورتب عليها واجبات لقوله عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(١٢٠) فكفل لها حق العمل والكسب والعشرة الحسنة، والملكية وحق اختيار الزوج.. وهاجم الذين يفضلون الرجل على المرأة ويتشاعمون من الأنثى لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١٢١).

لكن المرأة هي العنصر الأضعف وكونها إنساناً لها مثل الذي عليها فإن هذا لا يمنع من أن تكون سائرة في فلك الرجل، ولقد وصفها الإسلام من خلال تصرفاتها التي تصدر عن طبيعتها وفطرتها. قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١٢٢). ولا ينقص هذا من شخصية المرأة لأن ((حق القوامة مستمد من

^(١١٦) .قاسم جابر، أخوان الصفاء وآراؤهم السياسة، ص ٢٣، دراسة أعدت لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، ١٩٧٩م.

^(١١٧) .ينظر : ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٢٢١.

^(١١٨) .الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

^(١١٩) . من الآية(١٣) من سورة الحجرات.

^(١٢٠) .من الآية(٢٢٨) من سورة البقرة.

^(١٢١) .الآيتان (٥٨-٥٩) من سورة النحل.

^(١٢٢) . من الآية(٣٤) من سورة النساء .

التفوق الطبيعي في استعداد الرجل، ومستمد كذلك من نهوض الرجل بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة الأسرية^(١٢٣).

لم يتخلف الإمام علي (ع) عن الصورة التي وضعها القرآن للمرأة فقال موصياً ولده الحسن (ع): ((الله الله في النساء وما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: (أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم))^(١٢٤).

وليس أدل على ذلك من معاملته للسيدة عائشة (رض) التي دخلت معه في حرب ضروس ، ومع ذلك، لم يتصرف معها بما يشين كرامتها ويعدو شرفها بل أذن لها بالرحيل وجهازها بما تحتاجه من مركب وزاد ومتاع وسار في وداعها عدة أميال، وهو يدعو لها بالمغفرة^(١٢٥). أما كلماته عليه السلام في حق المرأة، فهي تتراوح بين الاهتمام بها، وعدم الإساءة إليها أو التعرض لها بأذى، والكشف عن طبيعتها فيقول: ((... ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول))^(١٢٦).

إن دعوة الإمام (ع) إلى عدم مشاورة المرأة بقوله ((واياك ومشاورة النساء...))^(١٢٧) لا يمكن أن ينسحب إلا على المرأة الجاهلة كما فعل النبي (ص)، يقول مغنية: ((أما نهى النبي وعلي عن مشورة النساء، فيحمل على مشورة الجاهلة وكان أكثر النساء آنذاك في معزل عن العلم وتجارب الحياة ولا ذنب للمرأة في ذلك إذا قصر الرجل في تربيتها مع العلم بأنها من طينة الرجل، وطبيعتها واحدة (يشتركان في المسؤولية على قدم المساواة)^(١٢٨). ويكون احتجاب المرأة في البيت، وقيامها على راحة زوجها وأولادها أفضل بكثير من اندماجها في المجتمع وهذا هو جهاد المرأة الحقيقي الذي عبر عنه الإمام بقوله: ((جهاد المرأة حسن التبعّل))^(١٢٩).

٢. سياسة الولد: أما الولد فهو أمانة والديه، ونظراً لضعف قواه العقلية والجسدية فإن الشفقة واجبة عليه، فلا ينبغي الإسراف في معاقبته: ((حصن عقوبتك من الإفراط))^(١٣٠) كما قال (عليه السلام). أما في مجال الحياة العامة، فإن الإمام (ع) يوصي بعدم تنشئة الولد على الرفاهية

^(١٢٣) مجلة عالم الفكر، م٧، ع١، ١٩٧٦م، ص٥٤؛ الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

^(١٢٤) أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (ص)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م، ص١٤٠.

^(١٢٥) المصدر نفسه.

^(١٢٦) ينظر: ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج١٥، ص١٠٤.

^(١٢٧) المصدر نفسه، ج١٦، ص١٢٢.

^(١٢٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٣١.

^(١٢٩) أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، المصدر السابق، ص٧٩.

^(١٣٠) ينظر: ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٢٠، ص٣١٨.

والسخاء لا، من شأن هذه التربيّة أن تفسده وتسبب له الهلاك لحرصه عليها فيقول: ((لا تحمدن الصبي إذا كان سخيّاً، فإنه لا يعرف فضيلة السخاء، وإنما يعطي ما في يده ضعفاً))^(١٣١). وفيما يتعلق بمهنة الولد، فإنه يؤكد على ضرورة الاهتمام بميوله واهتماماته ورغباته، إلا أنه يتعلم مهنة أبيه بسرعة لشغفه في تقليده ومحاكاته في عمله، لذا فإن ((من عمل عمل أبيه كفى نصف التعب))^(١٣٢).

٣. سياسة العبيد: لقد آمن الإمام علي(ع) بإنسانية الإنسان، وألقى في نفسه ما يوقظه على أصل من أصول وجوده، وهو أن طبيعة الكون جعلته حراً لا يتمرد ولا يطيع ولا يعمل ولا يقول إلا على أساس من هذا الحق الطبيعي؛ لذلك فهو يتوجه إليه بقوله: ((لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً))^(١٣٣). فليس غريباً إذن أن يعتقد الإمام علي(ع) العديد من العبيد بكده وعرق جبينه كي يعيد إليهم حقهم في حياة حرة كريمة. لهذا فقد ((أعتق ألف عبد من كد يده، كل منهم يعرق فيه جبينه وتحفى فيه كفه))^(١٣٤).

د. سياسة الأصحاب والأعداء

حاجة المصاحبة طبيعية بين البشر، وقد اعتبرها الغزالي ثمرة حسن الخلق فقال: ((اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق..))^(١٣٥). ولقد حذر الإمام (عليه السلام) من الفرقة والاختلاف ودعا إلى اجتماع الكلمة ولملمة الصفوف عن طريق وحدة وطنية مترابطة دون اعتبار لدين أو لون أو أي اعتبار آخر في سبيل تحقيق الهدف المشترك في التقدم والتطور ((فإن جماعة فيما تكروهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل))^(١٣٦). والمصاحبة تتطلب الانسجام في الخلق والمواقف، وهذا لن يكون إلا بحسن اختيار الأخوان والتأكيد على صلاحيتهم لهذا الأمر، ويحدد الإمام علي(ع) نوع المصاحبة وأثرها فيقول شعراً:

وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ	فلا تصحب أخا الجهل
حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ	فكم من جاهل أردى
إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ	يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ
مَقَايِيسَ وَأَشْبَاهُ	وللشيء من الشيء

^(١٣١) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٣٣٠.

^(١٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٥؛ الموقع الإلكتروني: <https://www.aqaed.com>

^(١٣٣) ينظر: ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٩٣.

^(١٣٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٠.

^(١٣٥) أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ج ٢، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م ص ١٥٧.

^(١٣٦) المصدر نفسه، ص ١٧١.

وللقلب على القلب

دليل حين يلقاه^(١٣٧)

ولقد دعا (عليه السلام) إلى نشر هذه القيمة الإنسانية السامية بين البشر لأهميتها في رص الصفوف ووحدة الكلمة ، ولن يتم لها ذلك إلا بضمان حقوقها المستندة إلى الوفاء والإخلاص والمحبة ونكران الذات كما جاء في وصية الحسن(ع): ((.. ومن ظن بك خيراً فصَدَّقْ ظنه، ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه))^(١٣٨). أما العداوة فلا معنى لها في منطق الإمام (عليه السلام)، لأنها من شيم النفوس الخبيثة الداعية إلى الحقد والكراهية. ويدعو إلى اعتماد العفو عند المقدرة تيمناً بكتاب الله القائل: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلنَّفْوَى﴾^(١٣٩) فقال: ((إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه))^(١٤٠).

هـ. سياسة الجار

في هذا الباب يدعو الإمام إلى حسن الجوار واحترام حق الحيرة لأن جيران الأسرة من عوامل هناةها أو شقوتها، وقال(عليه السلام):((سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار))^(١٤١). والوصية بالجار من الأمور التي دعا إليها الإسلام ، فقد أحل الله الجيران محلهم من ضمن الذين يتوجب الإحسان إليهم، فقال عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾^(١٤٢)، فليس من الإسلام في شيء من يسيء معاملة جاره أو يهضم حقاً من حقوقه أو يطمع في أشيائه أو يشمت وينكل به؛ لذلك قال الإمام علي (ع): ((وأحسن مجاورة جارك تكن مسلماً))^(١٤٣).

و. قضايا تربوية أخرى

كما وردت في الخطبة القاصعة وهي أطول خطبة في نهج البلاغة مجموعة من القضايا الأخلاقية والتربوية وذم التكبر الذي يعد المحور الأساسي للخطبة، هذه الخطبة اشار إلى ما أثاره

^(١٣٧) .أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، المصدر السابق ، ص ١٧١.

^(١٣٨) .ينظر : إبن أبي الحديد، المصدر السابق ، ج ١٦، ص ١٠٥.

^(١٣٩) .من الآية(٢٣٧) من سورة البقرة.

^(١٤٠) .إبن أبي الحديد، المصدر السابق ، ج ١٨، ص ١٠٩.

^(١٤١) .المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٦٣.

^(١٤٢) .الآية(٣٦) من سورة النساء.

^(١٤٣) .أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، المصدر السابق ، ص ١٣٨.

الناكثون والقاسطون والمارقون من حروب وتأجيج الشارع^(١٤٤)، وسميت بالقاصعة ؛ لأنها تتضمن تحقير إبليس واتباعه وتصغيرهم، من قولهم قصعت الرجل إذا امتهنته وحقرته، وغلام مقصوع، أي قمى لا يشب ولا يزداد^(١٤٥). ونورد مقتطف من الخطبة: ((.. فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالَمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَاِفْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بَخْلَقِهِ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ وَنَارَ اللَّهِ رِذَاءَ الْجَبْرِیَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّنَدُّلِ أَلَّا تَرُونَ كَيْفَ صَعَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْحُورًا وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا))^(١٤٦). ((.. فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهَّدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَا بَعَدَ إِبْلِيسَ يَسْتَلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ))^(١٤٧).

ان التوجه العلوي الرصين يدعو الى منهج في التفكير العلمي القائم على الثقة بالنفس وجرأة في التعامل والتفاعل مع اي نتاج فكري أنتجه الإنسان بغض النظر عن عقيدته عندما قال (ع): (اعقلوا الخبر اذا سمعته، عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل) . وهذا هو المنهاج الذي يدعم التقدم والتطور في المجتمعات الإسلامية فالعلم مقرون بالعمل ومن اي مصدر كان ،اذ لا خير في علم بلا عمل، والعلم والعمل لا جنسية لهما ولا دين^(١٤٨) . فالعلم لا يراد لذاته، بل لأجل التغيير والنمو في شخصية الفرد والمجتمع حين يقول (ع): "لا تجعلوا علمكم جهلاً وبقيتكم شكاً، اذا علمتم فأعملوا واذا تيقنتم فأقدموا"^(١٤٩).

^(١٤٤).قطب الدين الراوندي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، مركز أبحاث نهج البلاغة ، ج ٢ ، قم ، ١٣٨٦هـ، ص٢٢٧.

^(١٤٥).إبن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٣، ص١٢٧.

^(١٤٦).المصدر نفسه ، ج ١٣، ص١٢٧.

^(١٤٧).المصدر نفسه ، ص١٣١.

^(١٤٨).صباح شاكر العكام، مفهوم التربية في فكر الامام علي، صحيفة المثقف: مؤسسة المثقف العربي،

العدد(٣٠٧٧) في ٧ شباط ٢٠١٥م: <http://www.almothaqaf.com>

^(١٤٩).المصدر نفسه .

لقد جاء تأكيد الإمام علي (ع) على ضرورة معرفة النفس لأنها تؤدي الى معرفة خالقها، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه حينما قال (ع) : (من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز)^(١٥٠). وقد اعتبر الإمام علي(ع) العقل من اهم المصادر الاساسية للمعرفة، حين قال (ع): (من أسترشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي) وقال (ع): (استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا) وقال (ع) ايضاً: (كل شيء يستدل عليه بالعقل والعقل هو الحجة) لذلك فان تنمية المعرفة العقلية للإنسان لا تكون الا في طلب العلم، لأن العلم غذاء العقل، حينما قال (ع): (فليس شيء احسن من عقل زانه علم)^(١٥١).

ونَهجُ البلاغة يأخذ بنظرية الفروق الفردية وربط العلم بالعمل الذي يخرجها الى حيز الواقع وقد اقام الإمام نظامه الفكري على هذا الاساس. والإمام يرفض التقليد ويوافق على الاجتهاد في الرأي والفكر ،حتى لا يشكلا ضغطاً فكرياً على كل عصر وزمان لنجد المفكر الحر الذي يتقهم الدين والدنيا دون اكراه . أن التفكير بنظر الإمام علي (ع) هو العامل الاساس على كشف الحقائق وتخليص العقل من الاوهام والاساطير حين قال (ع): (ان الفكرة تورث النور والغفلة تورث الظلام)^(١٥٢). وقال عليه السلام : ((جالسوا أهل الدين والمعرفة ، فان لم تقدرؤا عليهم فالوحدة آنس وأسلم ، فان أبيتتم إلا مجالسة الناس ، فجالسوا أهل المرؤات ؛ فانهم لا يرفثون في مجالسهم))^(١٥٣).

للعلماء سلطان على الناس ولاسيما علماء الدين ؛ لأنّ لهم قدسية خاصة يؤثرون عن طريقها على الأفكار والعواطف والارادات ، ولهم دور فعّال في بناء الإنسان والتصدي لجميع ألوان الانحراف الذي يهدد فكر المجتمع وسلوكه ومسيرته التاريخية، وهم ليسوا مجرد وعاظ ومعلمين لطقوس دينية أو فروض منطقية؛ انهم قادة روحيون يتحملون مسؤولية الهداية والاصلاح والتغيير الشامل. قال أمير المؤمنين(ع) في وصفه للعلم: ((... يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم))^(١٥٤). ولمقام العلماء ودورهم في التأثير أثر واضح في صلاح الناس أو فسادهم تبعاً لصلاح العلماء أو فسادهم إذ قال عليه السلام: ((إنّ كلام

^(١٥٠).صباح شاكر العكام ، المصدر السابق .

^(١٥١).المصدر نفسه .

^(١٥٢).المصدر نفسه.

^(١٥٣).إبن أبي الحديد :المصدر السابق، ج١٨ ، ص ٤٢ .

^(١٥٤). أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّانيّ ، تحف العقول عن آل الرسول، المطبعة الحيدريّة ، النجف الأشرف ، ١٣٨٢هـ، ص ١٦٦ .

الحكماء إذا كان صوابًا كان دواءً ، وإذا كان خطأً كان داءً))^(١٥٥). وقال أيضًا: ((زلة العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق))^(١٥٦). وقال أيضًا: ((زلة العالم تفسد عوالم))^(١٥٧).

وأكد الإمام علي(ع) على دور القيم المعنوية والنفسية في المجال التربوي استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١٥٨). إن الإنسان والمجتمع في تدهور واضطراب وخسران في جميع مقومات الحياة وميادينها ، باستثناء من تكون المفاهيم والقيم الدينية هي الحاكمة على مسيرته وحركته ، حيث تحرر تلك القيم الإنسان والمجتمع معًا من جميع العبوديات الفكرية والاجتماعية والتربوية. وأثبتت حركة التاريخ وسننه المتتابعة أنّ الابتعاد عن الدين فكرًا وسلوكًا هو أساس جميع أنواع الانحطاط الفردي والاجتماعي ، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١٥٩).

الاستنتاجات

١. كان الإمام علي(ع) قدوة حسنة للناس وتميز بالخصال الحميدة، وترى في بيت النبوة ، ونهل من علم الرسول محمد(ص)؛ لذلك انفرد بالكثير من السمات والصفات عن سائر المسلمين، وكانت أقواله وأفعاله تتطابق في ممارساته الخلقية والاجتماعية والتربوية، وقد نعتته الأعداء قبل الأصحاب بصفات العلم والمعارف بأنواعها المختلفة، والحلم ، والشجاعة ، والعدل، وحسن القضاء ، والكرم ، والايثار والإنسانية الفذة .

٢. لم يكن الإمام علي(ع) موجهًا فحسب بل كان معلمًا في معظم خطبه ووصاياه وأقواله وأفعاله، إلى تهذيب النفوس وبناء الشخصية السوية عن طريق التربية الصالحة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى.

٣. عالج الإمام علي(ع) كيفية تربية الفرد عن طريق دعوته الى حفظ جوارحه وعدم استخدامها في معصية الله تعالى ، لأنه مسؤول مسؤولية مباشرة عن كل تصرفاته وأقواله لامتلاكه العقل .

^(١٥٥) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم ، ج ١ ، ١٣٨٨ هـ ، ص ١٦٦ .

^(١٥٦) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج ١٩ ، ص ٢٧١ .

^(١٥٧) المصدر نفسه ، ج ٢٠ ، ص ٣٤٣ .

^(١٥٨) الآيتان (١-٣) من سورة العصر .

^(١٥٩) الآيتان (١٢٣ و ١٢٤) من سورة طه .

٤. استعمل الإمام علي (ع) الكثيراً من الأساليب التربويّة في مقامات مختلفة مما يفيد العاملين في المجال التربوي جميعهم ، فضلاً عن تأكيده على دور القيم المعنويّة والنفسيّة في التربيّة.

٥. أكد الإمام علي(ع) على مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم للمجتمع دون تمييز، ويرى الإمام (ع) أن التربيّة والتعليم من أكثر المهن التي تحتاج الى تعلم ومراس .

٦. إنّ هدف التربيّة الإسلاميّة إيجاد المواطن الصالح ، ومن أبرز وظائف التربيّة عند الإمام علي (ع) هي نقل التراث الثقافي والتغيير الاجتماعي وبناء الفرد والمجتمع وتطوره .

٧. أوصى الإمام علي(ع) على صلة الرحم لأنها تزيد العمر لكنه وقف بشدة ضد التعصب القبلي الأعمى ، وشجع على الوفاء والصدق فهي من صفات المؤمنين المخلصين وذم الغدر وأهله.

٨. فضل الإمام علي(ع) العلماء وعدّهم سلطان على الناس ولاسيّما علماء الدين الفعّال في بناء الإنسان والتصدي للانحراف بجميع ألوانه ، وهم ليسوا مجرد وعاظ بل انهم قادة روحيون يتحملون مسؤولية الاصلاح في المجتمع. وهو يريد العلم من أجل التغيير الايجابي .

٩. اعتمد الإمام علي(ع) مبدأ الثواب والعقاب المادي أو المعنوي من أجل تشجيع الإنسان على فعل الخير ونهيه عن فعل الشر .

١٠. اهتم الإمام(ع) كثيراً بشؤون المرأة والأبناء وتربيتهم بالشكل الأمثل على وفق مبدأ الحقوق والواجبات وأعطى منزلة خاصة للمرأة بما يتفق وتكوينها الفسيولوجي والنفسي ومراعاة تعاليم الدين الإسلامي إزاءها.

١١. أكد الإمام علي(ع) على علاقات حسن الجوار وكف الأذى عن الجيران، ودعا (عليه السلام) إلى القيمة الإنسانية السامية بين البشر لأهميتها في رص الصفوف ووحدة الكلمة ، وضمان حقوقها المستندة إلى الوفاء والإخلاص والمحبة ونكران الذات ، وكان الإمام علي (ع) عوناً للمظلوم على الظالم حتى لو كان ذا مقربة .

١٢. ربط الإمام علي(ع) في نهج البلاغة بنظرية الفروق الفرديّة وربط العلم بالعمل ، ورفض التقليد ووافق على الاجتهاد في الرأي والفكر ، ل نجد المفكر الحر الذي يتفهم الدين والدنيا بنظرة علميّة موضوعيّة وبحرية فكريّة يضمنها الدين الإسلامي الحنيف، واعتماد منهج التفكير العلمي في التعامل مع النتائج الفكري للإنسان بغض النظر عن عقيدته.

التوصيات :

١. تأصيل الدراسات والأبحاث الأكاديميّة التربويّة الإسلاميّة عن طريق دراسة الفكر التربوي للإمام علي (ع).

٢. التركيز في المناهج الدراسية في مرحلتي التعليم العام والعالى على التربيّة الإسلاميّة، والأخذ من القيم التروييّة للدين الإسلامي الحنيف لاسيما الفكر التربوي للإمام علي (ع)، وإدخال تدريس نهج البلاغة في الأقسام التخصصية .

٣. تزويد المكتبات الإسلاميّة وإغنائها بشروح مبسطة لكتاب نهج البلاغة والتركيز على قيم الفكر التربوي الإسلامي والأعلام البارزين فيه وفي مقدمتهم الإمام علي(ع).

٤. تشجيع الطلبة في الجامعات العراقيّة كافة وتوجيههم على كتابة بحوث التخرج في الفكر التربوي الإسلامي مستفيدين من كتاب نهج البلاغة للخروج بنتائج تروييّة ذات أثر ايجابي في حياة الطالب والمجتمع .

٥. إجراء دراسة مقارنة للتربيّة العربيّة الإسلاميّة والتربيّة في الدول الغربيّة والافادة من الفكر التربوي للإمام علي(ع) لاسيما ما ورد في نهج البلاغة.